شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

رحمه الله

لكتاب

القواعد الأربع

للإمام/ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه، أمَّا بعد:

فقد قرأت هذا الشرح لشيخنا ووالدنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرم مثواه على القواعد الأربعة في التوحيد، والتي ألفها الشيخ المجدد العالم العلامة محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر لنا وله، وقد وضح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الشرح ما تضمنته هذه القواعد من بيان التوحيد الذي فرضه الله على العبيد، وما ينافيه من الشرك، وبين حال المشركين الأولين، وإقرارهم بتوحيد الربوبية، وأنه لم يعصم دماءهم وأموالهم؛ بل صار حُجَّةً عليهم، ولعل الله تعالى أن ينفع بهذا الشرح المفيد، كما نفع بأصله، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه.

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين
٢٤ / ١٠/ ١٤٢٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإنَّ من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن قيَّض لها في كل عصر من العصور علماء ناصحين، ودعاة مصلحين ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ومن هؤلاء الدعاة المصلحين الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ الذي جدد الله به أمر الدين بعد ما كادت أن تندرس معالمه، ولقد وفق الله ذلك الإمام إلى تدوين عدد من المؤلفات النافعة المختصرة في ألفاظها ومبناها، العظيمة في معناها، ومن تلك المؤلفات القواعد الأربع التي اعتنى بها أئمة الدعوة من بعده، وحرصوا على شرحها، وبيان معانيها لطلابهم وتلامذتهم.

وممن اعتنى بكتب الإمام محمد بن عبد الوهاب عامةً، وهذه الرسالة خاصةً سماحة شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ حيث درَّسها مرارًا، وشرح معانيها، وجلَّا مراميها بتعليقات محكمة ثرية بالنُّصوص الشرعية والمعاني الجليلة.

ويطيب «لمؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم: «شروحات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على القواعد الأربعة» ضمن سلسلة إصدارتها لشروح وتعليقات

سماحة الشيخ على الكتب العلمية، وقد تولَّى مراجعة هذه المادة كل من:

* فضيلة الشيخ العلامة/ د. عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين رحمه الله.

* فضيلة الشيخ/ د. عبدالعزيز بن عبدالله آل عبداللطيف وفقه الله.

نسأل الله تعالى أن يضاعف الأجر والمثوبة للشيخين الكريمين على ما بذلا، وأن يجعل هذه المادة في موازين حسنات شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مؤسسة

الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية

مقدمة الشيخ
عبدالعزيز بن باز للقواعد الأربع

بسم الله والحمد لله وصلَّى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد:

فهذه القواعد الأربع نبَّه عليها المؤلف رحمة الله عليه، وهي قواعد مهمة، فمن عقلها وفهمها جيدًا، فَهِمَ دين المشركين، وفَهِمَ دين المسلمين، وأغلبُ الخلق لا يفهمُ هذه القواعد؛ ولهذا التبست عليهم الأمور، فعبدوا القبور وأصحاب القبور،والأولياء، والأشجار والأحجار من دون الله،وهم يحسبون أَنَّهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك.

ومؤلف هذه القواعد: هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمة الله عليه ـ المجدد لما انْدَرَسَ من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، المتوفى سنة ستٍّ ومائتين وألف من الهجرة النبوية.

❃ ❃ ❃

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبارَكًا أَيْنَما كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَب اسْتَغْفَر، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجمع ـ في مقدمته هذه ـ بين الإفادة، وبين الدعاء للطالب، وهذا من النصح، أن يدعو للطالب بالتوفيق ويفيده، ولا شك إنَّ الطالب إذا قَبِلَ اللهُ هذا الدعاء في حقه سَعِدَ.

قوله: «وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ»، فإنَّ هؤلاء الخصال الثلاث عنوان السَّعَادَةِ،ـ إذا حرص المؤمن على هذه الخصال، ـ فقد ـ تمت سعادته، فهو يشكرُ الله على ما أعطاه بفعل أوامره، وترك نواهيه، وإذا أذنب استغفر، وتاب إلى الله، هذا هو شأن المؤمن: إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ ولهذا يقول ﷺ: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ**

خَيْرًا لَهُ»(١).

وهذا هو الواجب على المؤمن أنْ يشكر الله عند الرخاء، وعند النعم، من الصحة والعافية، ونعمة الإسلام، ونعمة الأولاد، ونعمة المال إلى غير هذا، فهو يشكر الله عليها بطاعة أمره، وترك نهيه، هذا هو الشكر، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سَبَإ: ١٣] يعني: يطيع أوامره، وينتهي عن نواهيه، ويصرف النعم في طاعة المولى سبحانه وتعالى، وعند البلاوي من المرض أو موت الولد، أو القريب ونحو ذلك، يصبر ويحتسب، ولا يجزع يتحمل، فلا يضرب خدًا ولا يشق جيبًا، ولا يدعو بدعوى الجاهلية، ولا يتكلم بفحش؛ بل يتحمل ويصبر، وعند الذنوب يبادر بالتوبة والاستغفار.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ

---

(١) رواه مسلم من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه في كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير برقم (٢٩٩٩).

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦]، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا عرف المؤمن أَنَّ التوحيد إذا دخله الشرك أفسده، كما أَنَّ الحدث إذا دخل الطهارة أفسدها، عرف أنَّ أَهمَّ شيءٍ عليه أن يعرفه هو التوحيد على حقيقته، ويعرف الشرك على حقيقته،حتى لا يقع في الشرك، فيبطل توحيده، ويبطل دينه، ويبطل إسلامه.

ـ لأنَّ ـ التوحيد: هو دين الله، وهو الإسلام، وهو الهدى، فإذا فعل شيئًا من أنواع الشرك بطل هذا الإسلام، وبطل هذا الدين؛ كأن يدعو الأموات ويستغيث بهم، أو يسب الدين، أو يسب الله أو يسب الرسول ﷺ، أو يستهزئ بالله ورسوله ﷺ، أو يستهزئ بالدين، أو يدع ما أوجب الله عليه، ويعتقد حلَّ ما حرَّم الله ممَّا هو معلوم من الدِّين بالضرورة، كالزنا وأشباهه، فإذا أتى بشيء من هذه النواقض بطل إسلامه، كما أنَّ من أتى بناقض من نواقض الطهارة من ريح أو بول أو غائط بطلت طهارته، وهكذا توحيده وإسلامه، إذا وجد منه ناقض بطل هذا التوحيد، وهذا الإسلام: كالمسلم الذي يَسُّب الله والدين ويستهزئ به كفر حتى يتوب، وكذا من سبَّ الله كفر، ومن جحد وجوب الصلاة كفر، ومن جحد تحريم الزنا كفر، ومن استغاث بالموتى ونذر لهم كفر، وهكذا فنواقض الإسلام تبطله، كما أنَّ نواقض الطهارة تبطلها.

وممَّا يبيِّن ويشرح لك حقيقة الدِّين أنْ تتعلم هذه القواعد التي جاءت في كتاب الله، فإذا درستها وتأملتها اتضح لك الأمر أكثر.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

القَاعِدَةُ الأُولَى

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١]».

شرح سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

القاعدةُ الأولى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ الرَّسُولُ ﷺ، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مقرون بتوحيد الربوبية: مقرُّون بأنَّ الله خالقهم ورازقهم، ومدبر أمورهم، وليس عندهم في هذا شك، وَجُهَّال المسلمين اليوم يحسبون أنَّ الإقرار بهذا التوحيد يكفي، إذا أقرَّ أنَّ الله الخالق الرَّازق، وأنه ربه كفى هذا من الجهل؛ إذْ صار المشركون أعلم منهم، فإذا أقرَّ أحدهم بالربوبية، وقال: إنَّ اللَّهَ رَبِّي وَخَالقي، ورازقي، اعتقد أن ذلك يكفي، لا، ما يكفي ذلك، فالمشركون أقرُّوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّخرُف: ٨٧] ويقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العَنكبوت: ٦١] ـ فالمشركون ـ مُقِرُون بذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يعني: يا محمد: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

فمادمتم تعرفون هذا أفلا تتقون الإشراك باللَّهِ، وترجعون إلى التوحيد والحقِّ، فهم يعرفون هذه الأمور، ويقرُّون بها لِلَّهِ، ومع هذا ما أسلموا فلم ينفعهم ذلك، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ؛ لأنَّهم ما خصوا اللَّهَ بالعبادة؛ بل أشركوا مع اللَّهِ اللَّات والعُزَّى ومناة، وأصنامهم الكثيرة.

فالتوحيد: هو صرف العبادة لِلَّهِ وحده، والإيمان بأنَّه وحده المستحق لها دون ما سواه، وممَّا يبيِّن لك هذا أنَّ المشركين، يقولون: ما دعوناهم وما توجَّهنا إليهم، كما في القاعدة الثانية: إلَّا لطلب القربة والشفاعة.

❊ ❊ ❊

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ :

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةِ

«أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وَدَلِيلَ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ**﴾ [يُونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ، شَفَاعَتَان: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّة: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيرِ اللَّهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافع مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]».

شرح سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ :

يعني: ما قصدنا أَنَّ الأصنام يخلقون، أو يرزقون، أو يدبرون الأمور، أو يحيون الموتى لا، ما قصدنا هذا، نحن نعرف أنَّ هذا كُلُّهُ لِلَّه عَزَّ وَجَلَّ؛ ولكن قصدناهم ليشفعوا لنا ليقربونا إلى اللّهِ زلفى؛ لأَنَّهم أحسن منَّا، فهم أصحاب دين، ولهم طاعات، وأعمال صالحات ولهذا

نعبدهم، وندعوهم، ونستغيث بهم، ليقربونا إلى اللَّهِ، وليشفعوا لنا؛ لأنَّهم خيرٌ منَّا وأوجه منَّا، كما قال جلَّا علا عنهم في سورة تنزيل الزمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] يعني: أنَّهم يقولون: ما نعبدهم، يعني: الأنبياء والصالحين إلَّا ليقربونهم إلى اللَّهِ زلفى يعني: ما عبدناهم لأنَّهم يخلقون، أو يرزقون، لا. عبدناهم؛ لأنَّهم يقرِّبون إلى اللّه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣]، سمَّاهم في هذه الآية بالكذبة، الكفَرة.

فهذا يدل على أنَّ عبادتهم إيَّاهم؛ لأجل طلب التقريب أنَّه من الكُفر، وإن لم يقولوا: أَنَّهم يخلقون ويرزقون، إذا دعوهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وذبحوا لهم بقصد القربة، وأنَّهم يشفعون لهم ـ هذا هو الكفر الذي فعله المشركون الأولون؛ ولهذا سمَّاهم كَذَبةً كفرةً؛ يعني: كذبوا بأَنَّهم يقربوهم إلى اللَّهِ، وكفروا بهذا العمل، يقول سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨].

فأقرُّوا بأنَّ آلهتهم لا تنفع ولا تضر، و مع ذلك يقولون: أَنَّهم يشفعون لهم، فهم مقرون بهذا، واللَّهُ يقول جلَّ وعلا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] ويقول اللَّه تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافِر: ١٨].

وهذا الشرك أبطل حصول الشفاعة لهم، ولم ينفعهم؛ بل ضرَّهم، وإنَّما الذي ينفعهم هو أن يتوبوا إلى اللَّهِ، ويستقيموا على التوحيد، وأن يعبدوا اللَّهَ وحده، وأن يدعوا الإشراك به، هذا هو الذي ينفعهم

أن يوحدوا اللَّه، كما هو معنى: «لا إله إلَّا اللَّه» يعني: يَخُصُّون اللَّه بالعبادة والدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر، كُلُّها لِلَّه وحده، ولا يشركون مع اللَّه أحدًا لا نبيًا مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا، ولا جِنِّيًا ولا غير ذلك، هذا هو دين اللَّهِ.

والمشركون الذين قاتلهم النَّبِيّ ﷺ فعلوا ما يدل على ذلك، أي: صرفوا العبادة لغير اللَّهِ وأنَّ التوحيد، والدين، والإسلام: هو صرف العبادة لله وحده، وعدم صرفها لغيره، ولو زعم أنَّ ذلك الغير لا يخلق، ولا يرزق، مادام صرف له العبادة، فقد كفر، وإنْ اعتقد أنَّ ذلك المعبود لا يخلق، ولا يرزق، فإنَّ المشركين قد اعتقدوا هذا، فهم يعلمون أنَّ معبوداتهم لا تخلق، ولا ترزق، وأنَّها فقيرة، وأنها مملوكة، فلم يعذرهم اللَّهُ بذلك؛ بل كَفَّرهم بطلبهم الشفاعة من غير اللَّه، وصرفهم العبادة؛ لأجل طلب الشَّفاعة.

فالحاصل: أنَّ دعاءهم لغير اللَّهِ واستغاثتهم بغير اللَّهِ، وصرف بعض العبادات لغير اللَّهِ، يجعل العبد مشركًا،وإنْ أقرَّ بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المدبر ... الخ، وإنْ أقرَّ بأَنَّ معبوداتهم لا تنفع، ولا تضر؛ ولكنه يريد شفاعتهم، أو يريد أنْ يقربوه، فهذا لا يُخَلِّصُه من الشرك.

فالذي يعبد البدوي، أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو يعبد الرسول ﷺ،أو يعبد صنمًا أو جنِّيًا، ويقول: أنا اعتقد أنَّه يقرِّبني، ولا اعتقد أنَّه يخلق، أو يرزق، فإنَّه يُبَيَّنُ له أَنَّ هذا هو الشرك الأكبر، وأن هذا هو دين المشركين الَّذي كانوا عليه، يقول اللَّهُ تعالى عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمر: ٣].

فالواجب عليه أنْ يحذر هذا الدين أي: دين المشركين بالتوبة النصوح والإقلاع عن الشرك، وتعليم من لم يفقه ذلك من إخوانه وعشيرته، وأهل بيته، ويكون عنده نشاط في تبليغ الدعوة، والحرص على تفهيمهم، وأنَّ قولهم: أنَّ الآلهة التي عبدوها تقربهم إلى اللَّهِ زلفى، وأنَّهم لا يقصدون أنَّها تنفع أو تضر؛ وإنَّما قصدوا شفاعتها وتقريبها، أَنَّ هذا هو الشرك الأكبر؛ كونهم قصدوا تقريبها إلى اللَّهِ وشفاعتها عنده، فصرفوا لها العبادة، فهذا هو الشرك الأكبر.

* * *

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

«أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصّلت: ٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسرَاء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «**خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ**(١) **وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ**(٢) **بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ**(٣)، **فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ**» الحديث(٤).

القَاعِدَةُ الرابعةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالدَّلِيلُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

تمت وصلَّى اللَّهُ على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».

***

شرح سماحة الشيخ رحمه الله:

هذه هي القاعدة الثالثة، وهي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، وذكر بعدها الرابعة: من القواعد الأربع التي من

---

(١) حدثاء عهد بكفر: يعني: قريب عهدنا بالكفر والخروج منه، والدخول في الإسلام وأنه لن يتمكن الدين في قلوبهم، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة [حدث] باب الحاء مع الدال [ص١٩٢] طبعة دار ابن الجوزي بالرياض الطبعة الثالثة عام ١٤٢٥هـ

(٢) ينوطون: أي: يعلقون بها أسلحتهم، تبركا بها وتعظيما لها .

(٣) ذات أنواط: هي اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم. انظر: النهاية لابن الأثيري باب النون مع الواو مادة: [نوط] [ص٩٤٦].

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم (٢١٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند (٥/ ٢١٨)، وابن حبان في صحيحة في كتاب التاريخ: برقم (٦٦٦٧)، وأبي واقد: اسمه: الحارث بن عوف.

عَقلها وفهمها جيدًا، عَقل دين المشركين، وعَقل دين المرسلين، وعرف الفرق بينهما، وهي قواعد مهمة وواضحة، أوضح فيها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة الشرك، وحقيقة ما عليه المشركون، وأوضح فيها حقيقة ما دعا إليه النَّبِيّ ﷺ وما أرشد إليه، وما بعثه اللّه به.

فمن عَقلَ هذه القواعد الأربع، كما ينبغي عرف دين المشركين على بصيرة، وعرف دين الرسل على بصيرة.

وقد تقدَّمت **القاعدة الأولى**: في بيان أَنَّ المشركين مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، وأنَّهم لا ينكرون أنَّ الله هو الخالق، الرَّازق، المدبر، المحي، المميت، الرزَّاق للعباد، يعرفون هذا؛ ولهذا أقرُّوا به

لما سئلوا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] كما تقدَّم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وبيَّن في **القاعدة الثانية**: أنَّهم يقولون: «ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة» ـ يعني: أنَّهم ـ ما توجهوا إليهم يعتقدون فيهم أنَّهم يخلقون ـ أو يرزقون ـ لا، يعرفون أنَّ الخلَّاق الرزَّاق هو الله؛ ولكن عبدوهم يرجوا شفاعتهم وقربهم، وتقريبهم إلى الله، يقول الله تعالى على لسانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨].

هذا هو شركهم، يقولون: دعوناهم وتوجَّهنا إليهم ليقربونا إلى اللّه، ليشفعوا لنا عند الله، واللّه هو الرَّزاق الخَالق سبحانه وتعالى.

وأمَّا شرك المشركين المتأخرين، فشركهم دائم: في الرخاء والشدة، ومع الأنبياء ومع غيرهم، وبعضهم أشرك في الربوبية، واعتقد أنَّ بعض المشايخ، وبعض الصالحين يتصرَّف في الكون، يتصرَّف في النَّاس، هذا من سخافة العقول وضلال العقول، فصاروا أَسْفَهَ من المشركين الأولين، وأقلُّ عقلًا وأعظم شركًا.

تقدَّم تفصيل الشَّفاعة، وأنَّ الشَّفاعة شفاعتان:

شفاعة مرضيَّة وهي: التي يأذن الله بها ويرضاها كشفاعة النَّبيِّ ﷺ؛ لأهل الموقف حتى يقضي بينهم بإذنه سبحانه، وشفاعته في أهل التوحيد حتى يدخلوا الجنَّة بإذنه ورضاه سبحانه وتعالى(١).

وشفاعة باطلة وهي: الشَّفاعة التي يطلبها المشركون من غير اللّه يطلبونها من أتباعهم من الأنبياء، أو الصالحين، أو من الملائكة، أو من الجنِّ، أو من الأشجار، والأحجار، وهذه شفاعة باطلة، قال الله تعالى فيها: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثر: ٤٨] ويقول تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وهذه شفاعة باطلة؛ لأنَّهم طلبوها من غير الله، وتوسلوا إليها بالشرك، فصارت باطلة.

ثم ذكر في **القاعدة الثالثة**: أنَّ النبي ﷺ ظهرَ في أُناسٍ شركهم متنوع، أقسام وأنواع: منهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الجنَّ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، فقاتلهم

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل المشهور المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغير هم برقم (٧٥١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٣).

جميعًا ﷺ وقاتلهم الصحابة ،ولم يفرِّقُوا بينهم، وذكر الآيات الدَّالة على ذلك، مثل قوله جلَّ وعلا : ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

فجعل عبادة الملائكة والأنبياء كُفْرٌ، وذكرَ في قصة عيسى والنَّصارى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المَائدة: ١١٧].

وذكر في الأشجار والأحجار والصالحين كذلك: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النَّجم: ١٩-٢٠] واللَّات: رجلٌ صالح، ومناة: حجر، والعُزَّى: شجرة.

والمقصود: أنَّ المشركين تنوعت عباداتهم لغير الله، منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد النجوم، ومنهم من يعبد الجنَّ إلى غير ذلك، فقاتلهم الرسول ﷺ وقاتلهم الصحابة ﷺ، ولم يفرِّقوا بينهم، فالشرك واحد، وإنْ تنوع المعبودون، فالذي يعبد الشمس، أو القمر، أو الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، أو النُّجوم، أو غيرهم، كلهم مشركون، سواء كان المعبود صالحًا أو جمادًا أو نبيًّا، أو ملكًا أو غير ذلك، والله يقول جلَّ وعلا : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢]، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الحَجّ: ٣٤].

فمن خالف هذه الآيات، وما جاء في معناها، فقد أشرك سواء فعل ذلك مع الأنبياء، أو مع الصالحين، أو مع الملائكة، أو مع الجنِّ، أو مع النجوم، أو مع الشمس، أو مع القمر، أو غير ذلك؛

ولهذا أنزل الله فيهم جلَّ وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فالشرك: يطلق عليه فتنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: حتى لا يقع شرك باللَّهِ، ويكون الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، والاختلاف يُسمَّى فتنة، والمعاصي تُسَمَّى فتنة؛ ولكن هنا الفتنة الشرك بالله، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧]، يعني: الشرك.

فالفتنة: هي الشرك أكبر من القتل، كون الإنسان يقتل نفساً هذه جريمة عظيمة ومنكر عظيم؛ لكن كونه يشرك باللَّهِ أعظم من القتل، نسأل اللَّه العافية.

فدلَّ ذلك على أنَّ الواجب على ولاة الأمور أنْ يقاتلوا عُبَّاد غير اللَّهِ مطلقًا كائنًا من كان هذا المعبود، إذا د،عوا إلى اللَّه وأرشدوا، ولم يقبلوا وجب قتالهم مع القدرة: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التّغَابُن: ١٦] كما قال تعالى: وقتلوهم ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٣] ويقول جلَّ وعلا: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التّوبَة: ٤١] ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصَّف: ١٠-١١].

وممَّا يتعلق بعبادة الأحجار والأشجار حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَكَانُوا حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِالكُفْرِ

مَرُوا عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ سِدْرَةً وَيُعَظِمُونَهَا ويُعَلِقُونَ عَلَيْهَا السَّلَاحَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ إِذَا عُلِّقَ عَلَيْهَا يَكُونُ أَمْضَى وَأَقْوَى، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرائِيلَ لِمُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]»[١].

فجعل طلب إيجاد شجرة تُعبد، مثل قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهًا، كما لهم آلهة، فإذا قال: نريد شجرةً نعبدها، أو حجرًا نعبده، أو قبرًا نعبده، نُعلق عليه السلاح، ندعوه نستغيث به ننذر له فهو مثل قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ وهذه قاعدة عظيمة مع القاعدتين السابقتين.

ثم أوضح في **القاعدة الرابعة** :أنَّ شرك الأولين أخفُّ من هؤلاء المتأخرين، فشركُ هؤلاء أعظمُ وأقبحُ، فالأولون شركُهم كان في الرخاءِ ويُخلصونَ في الشِّدَّةِ،أمَّا هؤلاء المشركون في غالب البلدان، شركهم دائمٌ ـ في الرخاء والشدة ـ، كَعُبَّاد البدوي، وعُبَّاد الحسين، وعُبَّاد الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم، شركهم دائمٌ في الرخاء والشدة.

فالواجب الحذر من شرك المشركين في الشدة والرخاء دقيقه وجليله.

وممَّا يدل على أنَّ المشركين يشركون في الرخاء دُونَ الشِدَّة، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: الباخرة في السفينة: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٩).

مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥] يعني: أخلصوا لِلّه الدعاء يخافون أنْ يغرقوا في البحر، أو تنقلب السفينة وتغرق، فعند هذه يخلصون لِلّه العبادة، فإذا نجّاهم إلى البر وسَلِمُوا عادوا إلى الشرك نعوذ باللّهِ،وفي الآية الأخرى يقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ﴾ [الإسرَاء: ٦٧] وهكذا في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمَان: ٣٢].

هكذا حال المشركين عند الشدائد، يخلصون لِلّه العبادة، ويعلمون أنّه المنجِي في الشدائد، وأنّه لا إله غيره، وإذا جاء الرخاء وقعوا في الشرك مع آلهتهم وأصنامهم.

أمَّا هؤلاء المشركون في أوقتنا هذه، فشركهم دائم، لا بصيرة عندهم، يعبدون غير اللّهِ في الرخاء والشدة، ولا تمييز عندهم لضعف العقول وغلبة الجهل، نسأل اللّه العافية والسلامة، وفق الله الجميع.

وصلى اللّه على نبينا محمد على آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع **صفحته**

تقريظ الشيخ العلامة عبدالله بن جبرين ٣
مقدمة اللجنة العلمية: ٥
مقدمة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. ٧
مقدمة المؤلف محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٩
القاعدة الأولى: ١٢
القاعدة الثانية: ١٤
القاعدة الثالثة: ١٨
القاعدة الرابعة: ١٩
فهرس الموضوعات: ٢٧